رسالة موسكو

طرأ ابان الاونة الاخيرة تصاعد ملحوظ في عرض ومعالجة شؤون الشرق الاوسط في الصحف والمطبوعات السوفييتية . ولئن كان التوسع في التغطية الاخبارية أمرا منطقيا ، تفرضه خطورة وتطورات الوضع بالمنطقة ، فان ما يستلفت النظر كون اجهزة الاعلام السوفييتية لم تعد تقتصر على هذا الجانب من المسألة ، بل أنها تحاول استقراء الاحداث واستباقها ، وتنبه باستمرار الى خطورة الانجراف وراء خطوات قد تبدو مغرية على صعيد حل القضايا الانية ، ولكنها تؤدي الى طمس ونسيان المحركات الاساسية للنزاع .

ويجدر بالذكر ان هذا الموقف يتضح في المجلات والمطبوعات الشهرية المتخصصة بجلاء اكبر مما هو عليه في الصحف اليومية .

فصحيفة « ازفستيا » مثلا ، تشير في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٥/٣/٣ الى ان « البحث عن حل لمشكلة الشرق الاوسط لا ينبغي ان يعتمد سبيل الاجراءات الجزئية ، بل ان الطريق نحو ضمان السلم الحقيقي في المنطقة يمر عبر الاستئناف العاجل لمؤتمر جنيف بمشاركة الفلسطينيين » . هذا في حين نجد مجلة « الحياة الدولية » توسع في طرح المسألة مؤكدة على أن « أساليب الاتفاقات المنفصلة والحلول الجزئية تهدف الى طمس الافاق النهائية للتسوية ... ويحاول خصوم التسوية استخدام هذه الاساليب لخلق انطباع زائف بان ثمة حركة الى الامام وبغية اخماد يقظة الشعوب العربية ، وللتملص من الحلول البناءة للقضايا الجذرية » . وتؤكد المجلة ذاتها في عدد اخر صدر في شهر اذار على أن « بعض الساسة العرب يرتأون توسيط الولايات المتحدة لتحقيق فصل جديد بين القوات . ومثل هذا الرأي انما يجسد ، عن قصد او من غير قصد ، الافكار التي توحي بها أجهزة الدعاية الصهيونية الامبريالية ، وتجد مناصرين لها في أرجاء من العالم العربي ، وتزعم أن مفتاح التسوية في يد الحكومة الامريكية . وفي واقع الحال فان هذه الافكار انما تدعو الشعوب والبلدان العربية الى التخلي عن النضال العادل في سبيل حقوقها المشروعة ، وتوكل امر الوساطة الى دولة عرفت بعلاقاتها « الخاصة » مع اسرائيل ، وبالتالي فانه ليس بوسعها ان تكون وسيطا يتحلى بالموضوعية . وعلاوة على ذلك فان هذه الافكار تنطلق ، بصمت ، من أن المشكلة الفلسطينية لا وجود لها » .

وتجدر هنا الاشارة الى ان الكتاب السوفييت لم يعودوا يقتصرون على التنويه الى « المشكلة الفلسطينية » او « العدوان الصهيوني » بل انهم أخذوا يعودون بالقضية الى جذورها الاصلية محاولين اعطاء صورة متكاملة لكل جوانبها التاريخية وابعادها المعاصرة .

فعلى سبيل المثال تعكف مجموعة من كبار المستشرقين السوفييت على اعداد مؤلف ضخم يقع في جزءين بعنوان «تاريخ فلسطين» يتوخى واضعوه الانطلاق من مواقع طبقية ، والاستناد الى المادية التاريخية في تحليل جذور المشكلة وما وصلت اليه اليوم ، كما صدر في موسكو في اواخر العام الماضي كتاب بنفس الروحية كان عنوانه « الطريق نحو السلام في الشرق الاوسط » ، وآخر في مينسك بعنوان « الاماني المعادية للثورة » جاء في مقدمته ان « أعضاء منظمة البوند السابقين ، الذين كانوا قد تسللوا الى مناصب مرموقة في بلادنا استطاعوا ان يمرروا الى الدراسات التاريخية السوفييتية مفاهيم موالية للصهيونية ، كما أنه ما زالت توجد حتى الان مطبوعات تتضمن اتجاهات تصور الصهيونية وكأنها حمل بريء » . ويتصدى العديد من الكتاب السوفييت لتفنيد المزاعم التي تحاول استثارة العطف على الصهيونية مدعية ان اليهود « شعب بل أرض احتل أرضا بلا شعب » . فيؤكد الكاتب فلاديمير سكس في مقال نشرته مجلة « الحياة الدولية » على ان الشعب العربي الفلسطيني « بوصفه وحدة قومية تكونت تاريخيا ، لم ينصهر ولم يتخل عن حقوقه المشروعة بل انه يخوض في سبيلها نضالا بطوليا ، يشكل